الدولة الرستمية وعلاقاتها الخارجية
(160- 296هـ/ 776 – 908م)

أ.د فراس سليم حياوي م.م محمد عبيس حميد
جامعة بابل/ كلية التربية الاساسية

المقدمة

نقدم هذا البحث الموسوم بـ: (الدولة الرستمية وعلاقاتها الخارجية) تلك الدولة التي نشأت في بلاد المغرب الأوسط, حيث شهد بلاد المغرب العربي في القرون الثلاث الأولى للهجرة عددا من الأحداث السياسية كانت نتيجتها بروز ظاهرة الانفصال السياسي عن مركز الخلافة الإسلامية في المشرق العربي الإسلامي, وقد تمخض ذلك عن انقسام المغرب إلى إمارات أو دويلات لا رابط بينها, ولكن لم تنقطع الصلات او العلاقات بين شقي العالم العربي الشرقي منه والغربي.

ونتيجة لتوافق المصالح الاقتصادية بين المحررين العرب ومغاربة الداخل (تجانس خلفيتهما الاجتماعية والاقتصادية), تقارب الطرفان, وفتحا بتقاربهما بلاد المغرب, ولكن نتيجة ظروف معينة اتسعت الهوة بينهم وشهدت المنطقة حركة الخوارج, وكان أهم نتائجها قيام الإمارات المستقلة بالمغربين الأقصى والأوسط, وبالرغم من تنافر الكيانات السياسية التي شهد قيامها المغرب على المستوى القبلي والعقائدي, فأن الوقائع التاريخية سجلت تعاونا اقتصاديا وتجاريا فيما بينهما من جهة, وازدهار المنطقة على مستويات مختلفة نتج عنها إقامة المدن والمنشات الحضارية في منطقتي الساحل والداخل من جهة أخرى، إن إقامة المدن ببلاد المغرب ظاهرة لها أهميتها, حيث ارتبط بقيامها نظم سياسية مستقلة, فضلا عن ان جلها كان يقع على طرف التجارة أو بالقرب منها, إضافة إلى أبعاد أخرى راعاها مخططوا المدن منها منعة المنطقة وتوفر شروط العمران.

يعد قيام الدولة الرستمية ظاهرة لها أهميتها الحيوية في تاريخ المغرب الأوسط, حيث قامت تكليلا لجهود الخوارج الاباضية, فقد كونت جدارا ضخما يحمي خلاله منطقة المغرب الأقصى والأندلس, لهذا نجد إن الفرصة قد أتيحت للادراسة في إقامة دولتهم بكل هدوء نتيجة الأمن والاستقرار التي تعيشها المنطقة, بل كان للرستميين دورهم في منح الدولة العباسية للاغالبة حق إقامة دولتهم, وذلك في خلق نوع من التوازن في المنطقة بعد ان عجزت الخلافة العباسية من السيطرة عليها, فضلا عن تأمينها لجهة مصر وسيادتها على المنطقة بشكل اسمي.

استعرض البحث العلاقات مع كل من العباسيين والاغالبة والادارسة ودولة بني مدرار وبلاد السودان والأمويين في الأندلس وأخيرا مع مصر، وقد شملت تلك العلاقات الأمور الاقتصادية والثقافية والعسكرية.

وقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع لتوثيق الموضوع نذكر منها: كتاب سيرة الأئمة الرستميين لـ: ابن الصغير التيهرتي، مؤرخ هذه الدولة، وتعد كتاباته في غاية الأهمية فهو من معاصريها فلابد انه قد نقل الأحداث التي شهدها بأمانة ودقة بحكم معاصرته لها زمانا ومكانا، ومن المصادر التي اعتمدنا عليها كتاب الكامل في التاريخ لـ: ابن الاثير (ت:630هـ) وكذلك طبقات المشايخ بالمغرب لـ: الدرجيني (ت:670)، وقد افدنا في معلوماته الكثير فهو مقسم إلى عدة طبقات تخص كل واحدة جيلا من المشايخ، واستخدمنا أيضا كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لـ: ابن عذاري المراكشي (ت:695 هـ). وقد احتوى على تفاصيل دقيقة وشاملة فيما يخص تاريخ الأندلس, وكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون (ت:808هـ) الذي أفادنا في الحصول على معلومات متفرقة عن الدولة الرستمية وهي وان كانت مقتضبة إلا إنها تفيد من يعمل على استنطاقها، فضلا عن كتاب السير لـ: الشماخي (ت:928هـ).

اما المصادر الجغرافية فقد استفدنا من كتاب البلدان لـ: اليعقوبي (ت:292هـ) وهو عاصر هذه لدولة وزارها ولذا تعد المعلومات التي قدمها لنا أصيلة حول طبيعة وحدود البلاد وكذلك كتاب المسالك والممالك لـ: ابن خرداذبة

(ت:300هـ)، يضاف إلى كتاب المغرب للبكري (ت:487هـ) وكتاب معجم البلدان لـ: ياقوت الحموي (ت:626هـ) الذي أفادنا منه في ترجمة مدن كثيرة وردت في البحث.

تمهيد:

أصبحت بلاد افريقية مسرحا لأهم حركات القرنين الثاني والثالث للهجرة, فبهزيمة الأباضية[1] بقيادة أبي الخطاب المعافري[2] ومقتله عام 144هـ أمام جيش الخلافة العباسية بقيادة محمد بن الأشعث[3] الذي أقام وجيشه في القيروان[4] بعد فرار عبد الرحمن بن رستم[5] منها, عندها أصبحت بلاد المغرب الأوسط (الجزائر) مكانا خصبا لتأسيس الدولة الرستمية[6].

اما مؤسس هذه الدولة فهو الامام عبد الرحمن بن رستم (160–171هـ) وقد اختار موضع تيهرت[7] التي اسست ما بين 160–162هـ عاصمة له[8], وبعد وفاة ابن رستم تقلد مهام الحكم والامامة لدى الرستميين سبعة من اولاده واحفاده, فكان الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم[9] (171–208هـ) اول من تولى هذا المنصب بعد ابيه, وفي عهده كانت الدولة الرستمية قوية استطاعت من فرض هيبتها وسطوتها واحترامها في المنطقة, وتمكن من انهاء حالات الفتن[10], وقد ورثه ابنه افلح بن عبد الوهاب[11] (208–258هـ) الذي اقتبس الكثير من سياسة ابيه وفي عهده عاش السكان حالة من الرخاء والراحة[12], وجاء من بعده ابنه ابو بكر بن افلح[13] (258.261هـ) الذي لم يحظ بشيء من حنكة وسياسة ابيه وجده،

---

[1] أصحاب عبد الله بن اباض والذي تنسب إليه هذه الفرقة من الخوارج, ينظر: الشهرستاني, محمد بن عبد الكريم, الملل والنحل, ط2, مكتبة الانجلو المصرية, القاهرة, 1955م, ج1, ص121.

[2] ابو الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافري, زعيم الأباضية في أفريقيا, وكان رجلا شجاعا, ينظر: الدرجيني, ابو العباس احمد بن سعيد, طبقات المشايخ بالمغرب, تحقيق: ابراهيم طلاي, الجزائر, 1974م, ج1, ص519.

[3] محمد بن الاشعث الخزاعي والي الخليفة ابو جعفر المنصور (136–158هـ) على مصر وقائد جيش الخلافة ضد ابو الخطاب المعافري, ينظر: الشماخي, ابو العباس احمد بن سعيد, السير, الجزائر, د.ت, ص131.

[4] تأسست مدينة القيروان سنة 50 هـ لتكون قاعدة عسكرية في شمال افريقيا ثم اخذت بالتطور في كافة المجالات, ينظر: الحموي, شهاب الدين بن عبد الله الرومي, معجم البلدان, دار احياء التراث العربي, بيروت, 1979م, ج4, ص420؛ الحميري, محمد بن عبد المنعم, الروض المعطار في خبر الاقطار, تحقيق: احسان عباس, ط2, بيروت, 1974م, ص486.

[5] والي القيروان من قبل ابو الخطاب المعافري, فارسي الاصل, قام بتنظيم البلاد, وهو فيما بعد مؤسس الدولة الرستمية, ينظر: الشماخي, السير, ص130.

[6] الدرجيني, طبقات,ج6, ص41؛ الشماخي, السير, ص139؛ ابن عذاري, ابو عبد الله محمد, البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب, تحقيق: ليفي بروفنسال, دار الثقافة, بيروت, د.ت, ج1, ص196.

[7] مدينة في المغرب كثيرة الانداء والضباب والامطار, ينظر: الحموي, معجم البلدان, ج2, ص70.

[8] ابن الصغير, سيرة الامة الرستميين في تيهرت, تحقيق: هوتلنسكي, باريس, 1907م, ص15–16؛ العدوي, ابراهيم احمد, بلاد الجزائر وتكوينها الاسلامي والعربي, مكتبة النحو المصرية, القاهرة, 1970م, ص197–198.

[9] عبد الوهاب بن عبد الرحمن ثاني الائمة الرستميين من الاباضية في تيهرت, كان عالما شجاعا فقيها, اجتمع له من امر الاباضية ما لم يجتمع لزعيم اباضي غيره, ينظر: الزركلي, خير الدين, الاعلام, ط5, دار العلم للملايين, بيروت, 1980م, ج4, ص183.

[10] ابن الصغير, سيرة الائمة, ص17؛ الحريري, محمد, مقدمات البناء السياسي في المغرب العربي, مكتبة الشباب, القاهرة, 1979م, ص111–112.

[11] افلح بن عبد الوهاب, ثالث الائمة الرستميين من الاباضية في تيهرت, كان داهية حازما, فقيها, جمعت فيه عدة صفات جعلته مرشحا قويا للامامة, ينظر: ابن الصغير, سيرة الائمة, ص22؛ الزركلي, الاعلام, ج5, ص5.

[12] ابن الصغير, سيرة الائمة, ص22.

[13] ابو بكر بن افلح بن عبد الوهاب, رابع الائمة الرستميين من الاباضية في تيهرت، اجتمع عليه اهل الحل والعقد وعقدوا له الامامة، كان سمحا، جوادا، الا انه كان ضعيفا، ينظر: ابن الصغير، سيرة الائمة، ص 31.

لذا اعترت الدولة حالات الضعف[1]، فهذا مادفع اخوه محمد بن افلح الملقب بـ: ابي اليقظان[2] (261- 281هـ) الى السعي لاجل اصلاح ما افسده اخيه، وتمكن بالفعل من ذلك بحكم السياسة التي انتهجها[3]، وبعد وفاة ابو اليقضان دخلت الدولة الرستمية منعطفا خطيرا ادى بها الى الضعف والانهيار, فقد بويع لابنه يوسف بن محمد بن افلح[4] الملقب بابي حاتم (281-294هـ), ولكن لم تستقر له الامور فقد خلع عام 284هـ وجيء بعم له اسمه يعقوب بن افلح[5] نادوا بامامته, وبقي هذا اربعة اعوام ثم خلعوه عام 288هـ واعادوا ابا حاتم الى الحكم الى ان قتل عام 294هـ[6].

وكان اخر الائمة الرستميين من الاباضية في تيهرت هو اليقضان بن محمد بن افلح (294-296هـ) حيث سقطت الدولة على يد الفاطميين سنة 296هـ[7].

على العموم كانت الدولة الرستمية من الدول المستقلة عن الخلافة العباسية في بلاد المغرب, واصبح لها منذ اعلان قيامها شخصيتها كدولة ذات سيادة على مواطنيها واراضيها وصار من حقها ان تساهم بدورها في العلاقات الدولية, تلك العلاقات التي استفاد منها الرستميون كثيرا, والتي سوف نتتبعها في الآتي:

" **علاقة الرستميين مع الخلافة العباسية** "

اتسمت الصلات بين الدولة الرستمية والحومة المركزية في بغداد بطابع العداء الى حد ما, وذلك بسبب:

1- نظرة بني العباس الى الرستميين باعتبارهم خرجوا عن الخلافة واقتطعوا جزء من ممتلكاتهم في المغرب, لانهم يعتبرون بلاد المغرب من ممتلكاهم التي ورثوها عن الامويين بعد زوال دولتهم, لهذا نظروا الى الرستميين نظرة عداء.
2- الاختلاف المذهبي بين الدولة العباسية السنية, والدولة الرستمية الاباضية, وسنشاهد هذا الاختلاف جليا مع الادارسة, حيث كان لهذا العامل اثره الهام في رسم العلاقات المستقبلية.

وترجمة لشعور العداء هذا فقد شن قائد جيوش العباسيين محمد بن الاشعث حربا ضد الرستميين قتل فيها ابو الخطاب المعافري سنة 144هـ. وكذلك تعقب عبد الرحمن بن رستم, ولكنه فشل في تتبعه, ففقل راجعا إلى افريقيا[8].

أمام هذا التحدي حاول عبد الرحمن بن رستم حشد الهمم لمواجهة والي العباسيين عمر بن حفص[9] (151-154هـ) على أفريقيا, ولكنه فشل بمسعاه, اذ استطاع عمر بن حفص من تمزيق هذا التحالف والانفراد بقوات عبد الرحمن

---

[1] ابن الصغير، سيرة الائمة، ص31.

[2] خامس الائمة الرستميين من الاباضية في تيهرت، وكان تقيا، ينظر:ابن الصغير سيرة الائمة، ص 28-29.

[3] ابن الصغير, سيرة الائمة, ص38.

[4] سادس الائمة الرستميين من الاباضية في تيهرت, حصلت مشاكل خلال توليه الحكم ادت بالنهاية الى مقتله على يد اسرته, ينظر: الزركلي, الاعلام, ج8, ص247.

[5] سابع الائمة الرستميين من الاباضية في تيهرت, قلده اهل تيهرت الامامة بعد خلعهم ابو حاتم, ينظر: الزركلي, الاعلام, ج8, ص247.

[6] ابن الصغير, سيرة الأئمة, ص50.

[7] ابن الصغير, سيرة الائمة, ص59؛ الزركلي, الاعلام, ج8, ص207.

[8] الشماخي, السير, ص133.

[9] عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة, عينه الخليفة المنصور (136-158هـ) واليا على افريقيا وخاض عدة معارك ضد الاباضية انتهت بمصرعه سنة 154هـ, ينظر: الطبري, محمد بن جرير, تاريخ الامم والملوك,تحقيق: عبد علي مهنا, مؤسسة الاعلمي, بيروت, 1998م, ج7, ص25-32؛ المعاضيدي, خاشع واخر, تاريخ الدويلات العربية الاسلامية في المشرق والمغرب, مطبعة جامعة بغداد, بغداد, 1979م, ص187.

بن رستم, ولكنه لم ينجح في القضاء عليه[1], وقد استمر الوالي العباسي في شن معارك ضد الاباضية الى ان قتل على ايديهم سنة 154هـ[2].

وبعد مقتل عمر بن حفص خلفه على ولاية افريقيا يزيد بن حاتم[3] (155–170هـ) الذي نجح في القضاء على ثورة الاباضية وقتل زعيمهم سنة 155هـ, واستمر في ولايته على افريقيا الى حين وفاته سنة 170هـ[4].

ويبدو ان محاولة القضاء على ابن رستم كانت صعبة ولذا اتجه والي العباسيين روح بن حاتم[5] (171–174هـ) – اخو يزيد – على ولاية افريقيا الى تحسين العلاقة واحلال الصلح بين الطرفين، فقد اجاب عبد الرحمن بن رستم لطلب الوالي العباسي ذلك في سنة 171هـ, وبعد وفاة عبد الرحمن انتخاب ولده عبد الوهاب اماما (171–208هـ), بادر الوالي العباسي روح بن حاتم الى عبد الوهاب لتجديد الاتفاق الذي كان زمن أبيه, وقد وافق عبد الوهاب على طلب الوالي العباسي, واستمرت العلاقات الحسنة بين الوالي العباسي والإمام الاباضي[6], وعلى العموم يمكن اعتبار طلب الوالي العباسي اعترافا رسميا من قبل العباسيين بسيادة الرستميين على المغرب الاوسط.

ولكن الهدوء والسكينة في عهد عبد الرحمن وولده عبد الوهاب مع بني العباس قد تعكرت في عهد افلح بن عبد الوهاب بسبب احتضان الخلافة لنفاث بن نصر[7] وهو ثائر قام بحركة ضد الامام افلح بن عبد الوهاب وقد رحبت به الخلافة العباسية وأعجبت به كثيرا لانه استطاع حل لغز علمي لم يستطع علماء بغداد حله[8]، وهذا الحادث يشير الى احتواء بني العباس للقوى المعارضة للرستميين مما اثر في توتر العلاقة بينهما, بعد صفاء دام سنين، ومما زاد في الاوضاع سوءا هو القاء القبض على محمد بن افلح الملقب بابي اليقظان قبل ان يتولى مهام الامامة من قبل الخلافة العباسية حيث نقل الى سجن ببغداد ليحتجز لسنوات[9] وهذه الحادثة كانت في موسم الحج حيث كان ابو اليقظان يؤدي مناسكه، ولكن العلاقة بين الطرفين قد تحسنت مرة اخرى وحيث كان مع ابو اليقظان في السجن احد اخوان الخليفة، وقد امر باخراج صاحبه من السجن بعد توليه الخلافة, وسمح له بالعودة الى بلاده[10] وقد يكون الخليفة العباسي المعتمد (256–279هـ) هو من كان مع ابي اليقظان في السجن حيث تشير المصادر[11] انه كان مسجونا لما قتل الخليفة المهتدي

---

[1] ابن عذاري, البيان المغرب, ج1, ص76–81.

[2] ابن الاثير, علي بن ابي الكرم الشيباني, الكامل في التايخ, تحقيق: خيري سعيد, الدار التوفيقية للطباعة, القاهرة, د.ت, ج5, ص95–97,205.

[3] يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن ابي صفرة, كان بطلا شجاعا, ولي امر مصر سنة 144هـ, ثم ولي امر المغرب سنة 155هـ, وبقي اميرا عليها حتى وفاته سنة 170هـ, ينظر: الذهبي, شمس الدين محمد بن عثمان, سير اعلام النبلاء, تحقيق: صالح السمر, ط4, مؤسسة الرسالة, بيروت, 1986م, ج8, ص223.

[4] الطبري, تاريخ, ج7,ص166؛ ابن الاثير, الكامل, ج5, ص273.

[5] روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن ابي صفرة, بعثه الرشيد (170–193هـ) الى المغرب فقدمها سنة 171هـ, فوليها ثلث سنين ومات سن 174هـ ودفن بالقيروان, ينظر: الذهبي, سير اعلام النبلاء, ج7, ص441.

[6] ابن خلدون, عبد الرحمن بن محمد, العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر, دار الكتاب البناني, بيروت, د.ت, ج4,ص193.

[7] تلميذ الامام افلح بن عبد الوهاب, وقد ثار على استاذه وانتقده في عدة مسائل وكان يرى ان الامام افلح لا يصلح للامامة, ولما هدده افلح رحل الى بغداد, ينظر: الدرجيني, طبقات, ج1, ص80–81؛ الشماخي, السير, ص214.

[8] الدرجيني، طبقات، ج1، ص80–81؛ الشماخي، السير، ص214.

[9] ابن الصغير، سيرة الائمة، ص 28–30؛ الدرجيني، طبقات، ج1، ص 83.

[10] ابن الصغير، سيرة الائمة، ص 28.

[11] الطبري، تاريخ، ج 8، ص 479 ؛ابن الاثير، الكامل، ج6, ص220؛ الذهبي, تاريخ الاسلام, تحقيق: عمر عبد السلام تدمري, دار الكتاب العربي, بيروت, 1987م, ج19, ص21.

سنة 256هـ, ومما يرجح هذا الراي ان الاثنان كانا تقريبا متعاصرين في سني حكمهما, فالخليفة المعتمد تولى الخلافة من256-279هـ, اما ابو اليقضان فقد تولى امامة وحكم الرستميين من 261-281هـ, مما ساعد على تحسن العلاقة بينهما حيث كانا على قمة السلطة في كلا البلدين, وهكذا كانت العلاقات بين الطرفين حسنة تارة, وعدائية تارة اخرى.

اما العلاقات الاقتصادية فقد تميزت بالنشاط التجاري بين الرستميين وباقي مناطق الخلافة العباسية, حيث تاتي القوافل التجارية من البصرة[1] وبغداد[2] مرورا بالانبار[3] وهيت[4] وحران[5] وحلب[6] ودمشق[7] وطبرية[8] والرملة[9] والفسطاط[10] والاسكندرية[11], ومنها برقة[12] وصولا الى حدود الدولة الرستمية حيث العاصمة تيهرت, التي تعتبر ملتقى القوافل التجارية القادمة من مختلف الجهات, وبالمقابل كان للرستميين دورا بارزا في التجارة ليس بسبب اهتمام الائمة الرستميين بالمسالك التجارية فحسب[13], بل كان الائمة الرستميين انفسهم تجارا ساهموا في انعاش اقتصاد المغرب, وقد اكد الشماخي[14] هذه الحقيقة من خلال حديثه عن الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن.

وكان موسم الحج من وسائل الاتصال المهمة مع ديار الدولة العباسية, حيث كانوا يتدفقون بقوافل لاداء فريضة الحج[15], من جهة، وللتبادل التجاري من جهة اخرى, حيث توجد سلع متنوعة تتناسب واذواق الحجاج الذين يأتون من كل بقاع الارض, وعلى العموم كان لهذا التبادل اثره الايجابي الواضح حيث انتعشت الحالة الاقتصادية بسبب الاموال التي جاءت من الشرق[16].

اما في مجال العلاقات الثقافية بين الدولتين, فقد كانت قوية بين الرستميين واباضية المشرق الذين هم جزء من رعايا الدولة العباسية في بغداد والبصرة وغيرها, وكانت هذه العلاقات او الصلات تجسدت اما بتبادل كتب او رحيل العلماء من الطرفين[17].

" علاقة الرستميين بالاغالبة 184-296هـ/ 800-908م "

تعد دولة الاغالبة[1] الجار الاقوى لحدود الدولة الرستمية الشرقية, ولهذا انتهج الرستميون سياسة التعايش السلمي معهم في اغلب الاحيان, لما تربطهم من روابط المصلحة المشتركة[2].

---

[1] الحموي, معجم البلدان, ج1, ص429.

[2] الحموي, معجم البلدان, ج1, ص455.

[3] سميت بذلك لان فيها يجمع انابير الحنطة والشعير, ينظر: الحموي, معجم البلدان, ج1, ص257.

[4] بلدة على الفرات, فوق الانبار, ينظر: الحموي, معجم البلدان, ج5, ص420.

[5] بلدة على طريق الموصل والشام والروم, فتحت ايام عمر بن الخطاب, ينظر: الحموي, معجم البلدان, ج2, ص235.

[6] مدينة واسعة عظيمة, كثيرة الخيرات, ينظر: الحموي, معجم البلدان, ج2,ص282.

[7] بلدة مشهورة وهي جنة الارض لحسنها وكثرة فاكهتها, ينظر: الحموي, معجم, البلدان,ج2, ص464.

[8] بلدة من اعمال الاردن, ينظر: الحموي, معجم البلدان, ج4, ص18.

[9] مدينة كبيرة بفلسطين, ينظر: الحموي, معجم البلدان, ج3, ص69.

[10] مدينة تاسست في عهد الخليفة عمر بن الخطاب في مصر, ينظر: الحموي, معجم البلدان,ج4, ص461-466.

[11] مدينة قديمة ترجع إلى عهد الاسكندر في مصر, ينظر: الحموي, معجم البلدان, ج1, ص182.

[12] اسم يشمل المدن والقرى بن الاسكندرية وافريقية, فهي ارض الخيرات, ينظر: الحموي, معجم البلدان, ج1, ص388.

[13] ابن الصغير, سيرة الائمة, ص13.

[14] السير, ص158.

[15] ابن الصغير, سيرة الائمة, ص27.

[16] ابن الصغير, سيرة الائمة, ص50.

[17] الحريري, مقدمات, ص194-195.

وقد عقد اول اتفاق لتقرير مبدأ التعايش السلمي بين الدولتين سنة 197هـ/ 813م, حين اضطر عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الى الاصطدام مع الاغالبة دفاعا عن مواطني دولته من قبيلة هوارة, وجاءت نصوص هذا الاتفاق مراعية لمصالح الطرفين حيث اكد الاغالبة احترامهم لامتداد الدولة الرستمية الجغرافي ونطاقها الرعوي الداخلي في منطقة طرابلس[3], وبالتالي احترم الرستميين حاجة الاغالبة الى الشريط الساحلي لطرابلس لاتخاذهم البحر المتوسط ميدانا للجهاد ضد الروم ونشر رايات الاسلام على جزر غرب البحر المتوسط[4].

وفي اطار التعايش السلمي بين الدولتين ايضا, نهض كل من الرستميين والاغالبة للوقوف بوجه العباس بن احمد بن طولون[5] عندما هدد حدود الدولتين سنة 265هـ/ 878م, ويبدو ان المصلحة المشتركة بين الطرفين هي التي ادت الى هذا التحالف لان خطر العباس قد احاط بالدولتين في وقت واحد, ولما كان كلا الطرفين قد تعرض لتهديدات واعتداءات العباس بن احمد بن طولون, فان هزيمة اي منها يعرض الاخر لهزيمة مماثلة, مما يؤدي الى حدوث تغيير في طبيعة الوضع السياسي لمنطقة طرابلس.

واذا كان الرستمويون قد الزموا الاغالبة سياسة التعايش السلمي بالقوة تارة, وبالاشتراك معهم في الدفاع عن حدود الدولتين تارة اخرى, فان هذه السياسة قد املت على الرستميين في كثير من الاحيان الدفاع عن انفسهم ضد الاغالبة واطماعهم, فقد راى الرستميون ان قيام محمد بن الاغلب (226-242هـ) ببناء مدينة العباسية[6] بالقرب من تيهرت يعد مساسا لمبدأ التعايش السلمي وبما يتعارض والمصالح الحيوية للرستميين, اذ استهدف الاغالبة من بناءها القضاء على المركز التجاري الهام الذي احتلته مدينة تيهرت[7] من جهة, فضلا عن اتخاذها قاعدة عسكرية امامية للهجوم على عاصمتهم تيهرت, وهذا ما دفع الرستميين الى تخريب مدينة العباسية الجديدة, اذ قام الامام افلح بن عبد الوهاب باخلائها وتدميرها بالنيران[8], فضلا عن استغلال الرستميين لهذه المناسبة للتقرب من الامويين في الاندلس, حتى ان الامير عبد الرحمن الاوسط بن هشام[9] بعث الى الامام افلح بن عبد الوهاب (208-258هـ) بمائة الف درهم مشاركة منه في المجهود الحربي ضد خصمهم المشترك ممثل بغداد في افريقيا[1].

---

[1] ومقر حكمها المغرب الأدنى او افريقية وامراؤها بنو الاغلب, كانوا يحكمون باسم الخلافة العباسية, عاصمتهم القيروان, وكانت لهم قوة بحرية هائلة مكنتهم من غزو صقلية ومالطة والسواحل الايطالية الجنوبية, وكانت نهاية هذه الدولة على يد الفاطميين سنة 296هـ. ينظر: العبادي, احمد مختار, في التاريخ العباسي والفاطمي, بيروت,1971م, ص226.

[2] عبد الرزاق, محمد اسماعيل, الاغالبة وسيادسهم الخارجية, مكتبة سعيد رافد, دون مكان, د.ت, ص121-122.

[3] دولة الرستميين مملكة بدوية صحراوية تبسط سلطانها على قبائل البادية او الصحراء, فمع ان هذه القبائل اتخذت بعض المراكز في القرى الجبلية او الواحات, الا انها ظلت غير مستقرة وذلك تبعا للظروف الطبيعية او السياسية, ينظر: عبد الحميد, سعد زغلول, تاريخ المغرب العربي, الاسكندرية, 1993م,ج2,ص404.

[4] العدوي, بلاد الجزائر, ص211.

[5] قام العباس بن احمد بن طولون بعصيان ابيه الذي استخلفه على مصر عند رحلته الى الشام سنة 265هـ, فجمع الاموال وفر الى برقة في بلاد المغرب واساء معاملة الناس هناك, الا ان ابيه في النهاية استطاع ان يشن حملة عسكرية وياتي به الى مصر, ينظر: المسعودي, على بن الحسين, مروج الذهب ومعادن الجوهر, مطبعة شريعت, قم, 2002م,ج5, ص121.

[6] وهي المدينة التي بنيت على يد محمد بن الاغلب (226-242هـ) قرب مدينة تيهرت سنة 227هـ, وهو نفس الاسم الذي اطلقه ابراهيم بن الاغلب مدينته الذي بناها جنوب مدينة القيروان سنة 185هـ نسبة بني العباس, ينظر: البلاذري, احمد بن يحيى بن جابر, فتوح البلدان, تحقيق: صلاح الدين المنجد, مطبعة لجنة البيان العربي, القاهرة, 1956م, ج1, ص74.

[7] عبد الرزاق, الاغالبة, ص130.

[8] ابن الاثير, الكامل, ج6, ص65؛ ابن خلدون, العبر, ج4, ص200.

[9] هو عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية الاموي (206-238هـ) الامير صاحب الاندلس, كان مصنفا شاعرا, توفي سنة 238هـ, ينظر: المراكشي, محي الدين عبد الواحد بن علي, المعجب في اخبار المغرب, تحقيق: محمد سعيد

ويبدو ان الاغالبة قد سلكوا مسلكا اخر لاجل القضاء على اعداء الخلافة لاعباسية, فقد حاولوا تشجيع القلاقل والخلافات الداخلية في مجتمع الدولة الرستمية وقد ساعدهم على ذلك وجود جالية من المتمتعين بحق اللجوء السياسي, وقد اندس هؤلاء ممن سخرتهم الاغالبة لاثارة الشغب بين الحين والاخر, وهذا ما حدث في عهد ابي بكر بن افلح (258-261هـ) حين حرض خلف الخادم مولى الاغلب بن سالم[2] سكان تيهرت متخذا من مقتل محمد بن عرفة[3] ذريعة الى ذلك, وقد استمرت حركته اعوام, استطاع ابو اليقضان (261-281هـ) خليفة ابو بكر بالقضاء عليها فيما بعد[4].

وقد اتجه الاغالبة اتجاها اخر للقضاء على الرستميين ففي سنة 283هـ اصطدم ابراهيم بن احمد[5] بقبيلة نفوسة التي كانت من رعايا الدولة الرستمية, وقد خرجت الى ابراهيم بن احمد في عشرين الفا من المقاتلين واندلعت الحرب بينهما, ودارت الدائرة على نفوسة وقتل عدد كبير من رجالاتها[6], ويبدو ان خروج ابراهيم بن احمد بحرب نفوسة جاء ترضية للخليفة العباسي المعتضد (279-289هـ) الذي كان يهدد بعزله بالأمس القريب, بعد هذه المعركة انهارت نفوسة التي كانت تشكل عصب الدولة الرستمية ودرعها, فقد اصاب الجبل حالة من الفوضى مما دفع اصحاب الراي الى عزل عامل الرستميين افلح بن العباس مما حدا بالاغالبة الى ارسال جيش اخر سنة 284هـ فاستباح نفوسة وعاد باعداد من الاسرى[7], وقيل لولا انشغال ابراهيم بصقلية لكانت تيهرت ضربته التالية[8].

وانتظاما مع الوضع اعلاه فان الاغالبة حرصوا على مقاطعة الرستميين تجاريا وثقافيا, وهنالك مايشير الى وجود شيء من العلاقات التي كانت تتم بصورة غير رسمية وعلى المستوى الشعبي, وعلى العموم يبدو انه كانت هناك صلات ثقافية بين تيهرت والقيروان تمثلت في العلماء وتيهرت الذين انتقلوا من تيهرت الى القيروانبغية تحسصيل العلم على يد من فيها من العلماء ومن هؤلاء العلماء بكر بن حماد[9] الذي اخذ العلم عن علوم القيروان ومنهم سحنون التنوخي[10], وعون بن يوسف الخزاعي[11] [1].

العريان, القاهرة, 1963م, ص48؛ ابن الابار, محمد بن عبد الله, الحلة السيراء, تحقيق: حسين مؤنس, الشركة العربية للطباعة والنشر, دون مكان, 1963م, ج1, ص131-141؛ الصفدي, صلاح الدين خليل بن ايبك, الوافي بالوفيات, تحقيق: احمد الانؤوط, دار احياء التراث العربي, بيروت, د.ت, ج8, ص84.

[1] البلاذري, فتوح, ج1, ص74؛ ابن الاثير, الكامل, ج6, ص65.

[2] الاغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة, ولاه المنصور (136-158هـ) افريقيا سنة 148هـ واقام في القيروان, قتل سنة 150هـ, ينظر: الطبري, تاريخ, ج5, ص186؛ الزركلي, الاعلام, ج1, ص335.

[3] هو شخصية قوية تصاهر مع الامام ابي بكر, وكان يتمتع بنفوذ كبير في الدولة الرستمية, ينظر: ابن الصغير, سيرة الائمة, ص31.

[4] ابن الصغير, سيرة الائمة, ص41.

[5] ابراهيم بن احمد بن محمد الاغلب (261-289هـ) من امراء الاغالبة اصحاب افريقيا كانت اقامته في القيروان, وكان عاقلا حازما, وحدثت في عهده ثورات عدة, فقمعها كلها, انتقل الى تونس سنة 281هـ وتوفي سنة 289هـ, ينظر: ابن عساكر, علي بن الحسين بن بة الله, تاريخ مدينة دمشق, تحقيق: علي شيري, مطبعة دار الفكر, بيروت, 1995م, ج19, ص127.

[6] حدثت معركة بين الطرفين في منتصف الطريق بين قابس وطرابلس في موضع يعرف بـ: مانو, ينظر: ابن عذاري, البيان المغرب,ج1, ص129؛ ابن خلدون, العبر, ج4, ص345؛ عبد الحميد تاريخ المغرب العربي, ج2, ص113-114.

[7] ابن عذاري, البيان المغرب, ج1, ص130؛ عبد الحميد, تاريخ المغرب العربي, ج2, ص142-143.

[8] عبد الرزاق, الاغالبة, ص134.

[9] ابو عبد الرحمن بكر بن حماد الزناتي التيهرتي, رحل الى المشرق, سنة 217هـ وهناك اكتسب الكثير من العلم, وهو فقيه من افاضل المغرب عالما بالحديث ورجاله, ينظر: ابن عذاري, البيان المغرب, ج1, ص153.

[10] سحنون التنوخي, كان حافظا للعلم واول من اظهر الفقه المالكي بالمغرب, ينظر: الدباغ, عبد الرحمن بن محمد الانصاري, معالم الايمان في معرفة اهل القيروان, ط2, تحقيق: محمد الاحمدي ابو النور واخرون, مصر, 1968م, ج2, ص101.

[11] عون بن يوسف ابو محمد الخزاعي المغربي الكناني الفقيه مات سنة 239هه, ينظر: الذهبي, تاريخ الاسلام, ج17, ص291.

علاقة الرستميين بالادارسة[2] 172-296هـ/ 788-904م "

تعد دولة الادارسة الجار الغربي لدولة الرستميين, وهذه الدولة تضم اقليم المغرب الاقصى باكمله, وهذا الاقليم يحده من الشرق وادي ملوية وجبال تازة, وهما يمثلان خط الحدود مع الدولة الرستمية, اما حدودها من جهة الغرب فالبحر المحيط ومن الشمال بحر الروم, من الجنوب جبال درن[3].

ودولة الادارسة علوية من النوع المعتدل التي ارائها مع اراء اهل السنة[4], ولهذا اطلق عليها ابن عذاري[5] اسم الدولة الهاشمية, وهذا الامر طبيعي فالدولة الادريسية ظهرت فجأة دون تمهيد او دعاية سابقة كتلك التي مهدت لقيام الدولة العباسية من قبل والدولة الفاطمية من بعد, وبناء على ذلك فهي لم تقم استنادا الى مبادئ سياسية او دينية معينة, بل قامت على اكتاف رجل واحد يمثل هيبة الاسرة العلوية العظيمة, كما يمثل مناقب اهل البيت[6].

ونتيجة لقربها من اهل السنة, كانت الدولة الادريسية قريبة من الرستميين اصحاب المذهب الاباضي المجاورين لهم في المغرب الاوسط, والذي يمثل مذهبهم اخر تطورات الفكر الخارجي في تلك الفترة, اذ اصبح هذا المذهب اقرب المذاهب الخارجية الى مذهب اهل السنة, ومن ثم لم تكن هناك خلافات مذهبية بين الدولتين الجارتين[7].

وضع الرستميون سياستهم مع الادارسة على اساس حسن الجوار المتبادل بينهما, ومما دعم علاقة حسن الجوار بين الدولتين انه كان يجمع بينهما موقف موحد ومشترك الا وهو العداء للخلافة العباسية, حيث استقرت كلتاهما بجزء من ارض الدولة العباسية, واصبح لكل منهما شخصيتها الخاصة وكيانها المستقل بعيدا عن سلطة الخلافة العباسية وولاتها[8].

وقد وجد الادارسة في الرستميين الدولة الحاجزة والحارس الامين لحدودهم الشرقية بينهم في المغرب الاقصى وبين الاغالبة وغيرهم من مؤيدي الخلافة العباسية في المغرب الادنى, لان الجيش الذي ترسله الخلافة العباسية الى افريقيا لا بد ان يخترق اراضي الدولة الرستمية, وهذا ما لا تسمح به الدولة الرستمية لانهم كانوا يتمتعون بالسيادة التامة على اراضي دولتهم من جهة ومن جهة اخرى لم تكن العلاقة طيبة بين الرستميين والعباسيين وولاتهم في افريقيا[9], وليس هذا فحسب بل فتحت الدولة الرستمية حدودها للكثير من العلويين الفارين من العباسيين, وقد عاش هؤلاء في المدن المنتشرة حول تلمسان[1]

---

[1] عبد الرزاق, الاغالبة, ص147.

[2] الادارسة, نسبة الى ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب الذي استطاع ان يفر من معركة فخ في عهد الخليفة الهادي (169-170هـ) وخرج متخفيا مع مولاه راشد واتجه الاثنان معا الى مصر ضمن قافلة الحجاج وعن طريق عامل البريد اتجه الى افريقيا ومنها الى المغرب الاقصى, فنزل عند قبيلة اوربة عند اسحاق بن محمد الذي ساعده مع عشيرته التي بايعت ادريس, ثم اعقب ذلك مبايعة سائر قبائل المغرب الاقصى لادريس, وكان اعلان الدولة الادريسية في رمضان سنة 172هـ, ينظر: ابن الابار, الحلة السيراء, ج1, ص51؛ ابن عذاري, البيان المغرب, ج1, ص210؛ السالم, السيد عبد العزيز, تاريخ المغرب في العصر الاسلامي, دار النهضة العربية, بيروت, د.ت, ص379-380.

[3] الحريري, مقدمات, ص216.

[4] عبد الحميد, تاريخ المغرب العربي, ج2, ص423.

[5] البيان والمغرب, ج1, ص82.

[6] عبد الحميد, تاريخ المغرب العربي, ج2,ص 423.

[7] الحريري, مقدمات, ص207.

[8] العبادي, في التاريخ العباسي والفاطمي, ص92؛ عبد الحميد, تاريخ المغرب العربي, ج2, ص488-489.

[9] الحريري, مقدمات, ص207.

تلمسان[1] في حين اراد بعضهم البقاء في اراضي الدولة الرستمية وعاشوا في بعض مدنها في شمال تيهرت على ضفاف نهر شلف[2]

كالجزيرة الخضراء[3] وسوق ابراهيم[4] وغيرها, وكان اكثر هؤلاء العلويين من ابناء محمد بن سليمان العلوي[5], وقد استقروا في هذه المدن بعد سقوط الدولة الرستمية في القرن الثالث الهجري[6].

ويبدو ان ان لموقع الرستميين في المغرب الاوسط اثره الكبير في الاساليب التي اتبعتها الخلافة العباسية لمقاومة الادارسة, وذلك بعد ما وجدت من تعثر واضح في إرسال القوات للقضاء على هذه الدولة، ولذا نجدها تتجه الى التخلص من ادريس غدرا فاغتالته[7] سنة177هـ[8].

ان سرعة التخلص من ادريس من قبل الخلافة العباسية بين مما لا يدع مجالا للشك خطورة الكيان الادريسي بالنسبة للخلافة العباسية في المنطقة وعلى من يمثلها بافريقية خاصة بعد مبايعة محمد بن خزر المغراوي صاحب تلمسان[9] لادريس, فيذكر ان ابي زرع[10] ان الرشيد لما علم بدخول ادريس تلمسان ارسل في طلب وزيره البرمكي وقال له: " ان ادريس ملك تلمسان وهي باب افريقية ومن ملك الباب اوشك ان يدخل الدار ".

وفي عهد الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن (171–208هـ) تعرضت العلاقة الرستمية الادريسية الى نوع من التعكر والقطيعة نتيجة لموقف مغراوة وبني يفرن سكان تلمسان الخاضعين لنفوذ الادارسة[11] الذي افزعهم مقتل يزيد بن

---

[1] مدينة بالمغرب, ينظر: الحموي, معجم البلدان, ج2, ص44.

[2] نهر بالمغرب في بلاد البربر تقع عليه عدة مدن, ينظر: الادريسي, ابو عبد الله محمد بن ادريس, نزهة المشتاق في اختراق الافاق, مطبعة عالم الكتب, بيروت, 1989م, ج1, ص253.

[3] مدينة مشهورة بالمغرب من اطيب المدن ارضا, ينظر: الادريسي, نزهة المشتاق, ج2, ص136.

[4] مدينة قريبة من تلمسان بينهما مرحلة موقعها على نهر شلف, ينظر: الادريسي, نزهة المشتاق, ج1, ص250.

[5] محمد بن سليمان العلوي هو اخو ادريس بن عبد الله مؤسس الدولة الادريسية, ينظر: دبوز, محمد علي, تاريخ المغرب الكبير, دار احياء الكتاب العربي, بيروت, 1963م, ج3,ص 236–237؛ الحريري, مقدمات, ص208.

[6] دبوز, تاريخ المغرب الكبير,ج3,ص208.

[7] تجمع عدد من المصادر على ان الخليفة هارون الرشيد (170–193هـ) هو الذي ارسل لقتل ادريس, فعندما بلغه امره دس اليه الشماخي اليمامي وانفذه بكتاب الى ابن الاغلب فاجاره, فلحق بادريس ونزل عليه مدعيا التطبب وانه من شيعتهم, ثم ان ادريا شكا الما في اسنانه فاعطاه الشماخ مسنونا مسموما, وامره ان يتسن نبه عند طلوع الفجر, فاخذه منه وهرب الشماخ, فلما طلع الفجر استن من ادريس فسقطت اسنانه ومات في وقته, ينظر: ابن الابار, الحلة السيراء, ج1, ص52؛ ابن عذاري, البيان المغرب, ج1, ص210؛ ابن خلدون,العبر, ج4, ص25.

[8] ابن عذاري, البيان المغرب, ج1, ص83؛ الحريري, مقدمات, ص208.

[9] اتجه ادريس الى تلمسان وهي بالمغرب الاوسط سنة 173هـ, وكانت بتلمسان قبيلة مغراوة وبني يفرن وكانت السيادة لمغراوة وزعيمها محمد بن خزر, الا ان هيبة الامام العلوي كانت كافية لخضوع محمد بن خزر دون قتال حيث اسرع يطلب الامان فبايع ادريس هو ومن معه من قبائل زناتة, وبذلك دخل الامام تلمسان صلحا, ينظر: ابن ابي زرع, علي بن محمد بن احمد, الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس, تحقيق: محمد الهاشمي, المطبعة الوطنية, المغرب, 1936م, ص8؛ عبد الحميد, تاريخ المغرب العربي, ج2, ص435.

[10] الانيس المطرب, ص21.

[11] الحريري, مقدمات, ص29.

فندين[1], ولهذا حاولوا استغلال هذه الحادثة والاستقلال بالاماكن التي يعيشون فيها من اراضي الدولة الرستمية والعمل على ضمها للادارسة, لكن هذه المحاولات لم يكتب لها النجاح وتمكن عبد الوهاب من القضاء على هذه الحركة[2].

واخيرا لابد من الاشارة الى ان الادارسة كانوا يحاربون اصحاب النحل المتطرفة امثال الخوارج وقاموا بالقضاء عليهم داخل دولتهم في المغرب الاقصى[3]. وبالتاكيد كان لهذا العمل اثره عند الدولة الرستمية ودولة بني مدرار كونهما من الخوارج, ولكن كانا اكثر الخوارج تسامحا واعتدالا مع المخالفين لمذهبهم, فالصفرية والاباضية لا يرون اباحة دماء المسلمين, ولا يرون جواز سبي النساء والذرية, بل لا يرون قتال احد سوى جيش السلطان[4].

"علاقة الرستميين مع دولة بني مدرار[5] 140-296هـ/ 757-908م"

تمثل دولة بني مدرار في سجلماسة[6] الحدود الجنوبية الغربية للدولة الرستمية والتي اسست على اساس المذهب الصفري[7] وعلى هذا فاصحابها ينتمون الى المذهب الخارجي مثلهم في ذلك مثل الرستميين, ولذلك التقت اهدافهم مع اهداف الدولة الرستمية, وتوطدت بينهم اواصر المحبة والمودة والصداقة, وسعت كل واحدة منهما الى كسب احترام الاخرى, لدرجة ان المدراريين عقدو حلفا ثنائيا بينهم وبين الرستميين من اجل تقارب زعماء الدولتين والتقائهما في الاهداف, وقد ظهر هذا التقارب واضحا عندما تزوج مدرار بن اليسع بن ابي القاسم الذي حكم سجلماسة سنة 208هـ/ 823م, من اروى بنت عبد الرحمن بن رستم اول ائمة الدولة الرستمية, ويمثل هذا الزواج مدى التقارب بين الدولتين, حيث سعى اليسع الى هذا الزواج رغبة منه لكسب حليف قوي يحميه, في حين كانت رغبة عبد الرحمن بن رستم تكمن في كسب هذا العدد الكبير من الصفرية, وقد كانت ثمرة هذا الزواج ولدا اسمه ميمون[8] لعب دورا كبيرا في دولة بني مدرار[9].

ومما تقدم يظهر مدى قوة العلاقات السياسية بين الدولتين الرستمية والمدرارية, مما اثر في تعزيز العلاقات الثقافية بينهم الدرجة ان المذهب الاباضي بدات تظهر مؤثراته ليس بين مواطنيى دولة بني مدرار فحسب بل وحتى بين ائمتهم وعلمائهم[10], ومما وثق هذه العلاقات هو إقامة جالية من رعايا الدولة الرستمية في الدولة المدرارية وبالعكس. وقد نظر الرستميون الى الدولة المدرارية في سجل ماسة على انها منفذ هام لهم في بلاد السودان, تنتقل من خلالـه قوافلهم التجارية

---

[1] يزيد فندين زعيم النكار في دولة الرستميين من بني يفرن, وهو فرع من زناتة التي ينتمي اليها معظم اهل المغرب الاوسط, ينظر: الشماخي, السير, ص144؛ دبوز, تاريخ المغرب الكبير, ج3, ص484.

[2] الحريري, مقدمات, ص209.

[3] ابن خلدون, العبر, ج4, ص1؛ الحريري, مقدمات, ص210.

[4] العبادي, في التاريخ العباسي والفاطمي, ص227.

[5] قامت دولة بني مدرار في سجلماسة سنة 140هـ, جنوب المغرب الاقصى, وهي دولة خارجية صفرية, ينظر: ابن عذاري, البيان المغرب, ج1, ص156, ابن خلدون, العبر, ج6, ص257؛ عبد الحميد, تاريخ المغرب العربي, ج2, ص410-411.

[6] مدينة جنوب المغرب, ينظر: الحموي, معجم البلدان, ج3, ص192.

[7] نسبة الى زياد بن الاصفر صاحب المذهب, ينظر: الشهرستاني, الملل والنحل, ج1, ص123.

[8] بعد وفاة اليسع عام 293هـ وقع خلاف بين ميمون المعروف بابن اروى (سبط عبد الرحمن بن رستم) وبين ابن مدرار الاخر المعروف بـ (ابن تقي نسبة الى امه), ينظر: ابن عذاري, البيان المغرب, ج1, ص157؛ شرف الدين, لمياء محمد سالم, بعض ملامح ازمة افريقية, الاقتصادية, ليبيا, 1999م, ص38.

[9] ابن الخطيب, محمد لسان الدين, تاريخ المغرب العربي, العصر الوسيط, تحقيق: احمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني, الدار البيضاء, 1964م, ص143-144؛ الحريري, مقدمات, ص211-212.

[10] السالم, تاريخ المغرب في العصر الاسلامي, ص486؛ الحريري, مقدمات, ص212.

ومن ثم فهي شريان الحياة بالنسبة لبني رستم, ولذا فقد كانت العلاقات التجارية نشيطة الى درجة كبيرة بين الطرفين. فقد كان طريق التجارة الرستمية الى بلاد غـانة[1] والسنغال يمر بمدينة سجلماسة[2].

وكانت قوافل الرستميين تتجه عابرة سجلماسة وقادمة اليها محملة بانواع البضائع والمنتجات الزراعية وغيرها, ومن هذه البضائع التي تجلب من سجلماسة ثمار شجر التاكوت الذي يستخدم في دبغ الجلد الغدامسي في غدامس[3], الا ان اهم السلع التي كانت تسعى اليها هذه القوافل هي الذهب الذي كانت تحمله من غانة, وتجني من وراءه ثراء كبيرا, وكان له الاثر في ازدهار الدولة الرستمية[4].

وعلى العموم لابد من الاشارة بان العلاقات الرستمية المدرارية (السياسية والتجارية والثقافية) كانت في اعلى مستوياتها[5], واخيرا يبدو ان سجلماسة كانت تتمتع بمقومات اقتصادية متنوعة كان لها الاثر في تحديد علاقاتها مع غيرها من الكيانات السياسية ببلاد المغرب, ومنها الدولة الرستمية, فقد عبرت هذه العلاقة عن مدى اهمية كل من سجلماسة وتيهرت التجارية, فكلاهما مشرف على بلاد السودان, مصدر الذهب والعبيد, ولقد ادى تعاونهما هذا الى محاصرة سكان افريقية وحرمانها من ثروة السودان.

" علاقة الرستميين بالسودان[6] "

كانت الدولة الرستمية تسيطر على معظم منافذ الطريق المؤدية الى السودان, وقد امتلك الرستميون عددا من القواعد الصحراوية التي تقع على الطرق وتعتبر منطلقات للتجارة مع بلاد السودان, نذكر من هذه القواعد:

1- قاعدة وارجلان[7] التجارية التي ترتبط ببلاد السودان ارتباطا وثيقا[8].
2- قاعدة غدامس وهي تقع الى الجنوب من طريق التجارة الى بلاد الكانم من بلاد السودان[9].
3- قاعدة سجلماسة التي تعد نقطة انطلاق حقيقة لعدد كبير من القوافل عبر الصحراء الى بلاد السودان, وهي تعتبر مدخلا لغانة[10].

---

[1] اتصل التجار المسلمين من شمال افريقية بمركز التجارة في الصحراء مثل (اودغست) الواقعة في موريتانيا الحالية, والى جنوب الصحراء حيث عاصمة غانة تسمى (كومبي) التي كانت محطة كبيرة للقوافل القادمة من المنطقة الجنوبية حيث الغابات في غرب افريقية وبين شمال الصحراء, سوق تجارة الذهب, الذي ينقلونه من الجنوب الى العواصم العربية, وبلدان البحر المتوسط, ينظر: فهد, بدري محمد, الصلات الثقافية بين العرب وافريقيا, منشورات كلية الاداب, جامعة بغداد, 1988م, ص29.

[2] البكري, عبد الله بن عبد العزيز, المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب, مكتبة المعنى, بغداد, د.ت, ص149.

[3] مدينة بالمغرب اهلها من البربر تدبغ فيها الجلود, ينظر: الحموي, معجم البلدان, ج4, ص187.

[4] البكري, المغرب, ص152؛ الحريري, مقدمات, ص213.

[5] دبوز, تاريخ المغرب الكبير, ج3, ص445.

[6] بلاد كبيرة, ارضها واسعة تحدها ارض البربر من الشمال, والبراري في الجنوب, والحبشة من الشرق والمحيط من الغرب, وهذه البلاد تتجه جغرافيا نحو المغرب لصعوبة اتصالها باي منطقة اخرى مجاورة, وما يهمنا هنا هو السودان الاوسط الذي يشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد والسودان الغربي, ويشمل عدا ذلك غربا الى المحيط الاطلسي مثل النيجر الاوسط وحوض السنغال, ينظر: المنجد, صلاح الدين, مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين, دار الكتاب الجديد, بيروت, 1963م, ص21؛ زيادية, عبد القادر, مملكة سنغاي في عهد الاسيقيين, الجزائر, 1971م، ص15.

[7] مدينة ورجلان بوابة الصحراء حيث يتوغل منها الى مدينة تادمكة ومن ثم الى كوكو, ينظر: ابن سعيد المغربي, ابو الحسن علي بن موسى الاندلسي, كتاب الجغرافيا, تحقيق: اسماعيل العربي, بيروت, 1970م, ص126؛ ابن خلدون, العبر, ج7, ص107.

[8] ابن سعيد المغربي, كتاب الجغرافيا, ص126.

[9] ابن سعيد المغربي, كتاب الجغرافيا, ص127؛ المنجد مملكة مالي, ص15-16.

[10] البكري, المغرب, ص149.

4- قاعدة زويلة[1] وهي مدينة تمثل اول حد بلاد السودان حيث تخرج القوافل من مدن جبل نفوسة وتتجه جنوبا نحو زويلة, وهو طريق شاق يمر خلال الجبال والصحاري التي لا توجد فيها مياه[2].

اما عن اهم المنتجات التي تحملها القوافل الرستمية الى بلاد السودان فهي المنسوجات الصوفية والقطنية والكتانية واواني الزجاج والخزف والملح لندرته عندهم فيبيعونه هناك باسعار مرتفعة للغاية[3], ويعودون محملين بالذهب والعاج وريش النعام وجلود الحيوانات, وكان اهل وارجلان يقودون هذه القوافل التجارية الى بلاد السودان[4].

وكانت مملكة كوكو[5] أشهر ممالك السودان قد ارتبطت بعلاقة وثيقة مع الدولة الرستمية, وقد ظهرت معالم هذه العلاقة في عهد الإمام افلح بن عبد الوهاب (208–258هـ) الذي أرسل محمد بن عرفة في سفارة إلى ملك كوكو ومعه هدايا وقد أعجب ملك كوكو بهذا السفير ومدحه[6].

وقد ظهرت آثار الاتصال بين التجار الرستميين وأهالي هذه البلاد واضحة في سلوكهم وطرق معيشتهم، فقد حمل هؤلاء التجار هذه الألوان الحضارية، فضلا عن حملهم الإسلام إلى هذه الجهات، فكثيرا ما كان يرافق القوافل التجارية عدد من الفقهاء المسلمين الذين خالطوا أهل البلاد وتركوا فيهم آثار وبصمات بعيدة المدى، كما ترك التجار المسلمون في نفوس الأهالي من الأمانة وحسن المعاشرة اثأرا عظيمة تفوق بكثير الذهب الذي كانوا يحصلون عليه، وعلى العموم فقد كان لهذه الجهود التي بذلها الفقهاء الدور الكبير في تأسيس دولة مالي الإسلامية, التي كان اغلب سكانها من المسلمين[7], وكتحصيل حاصل فقد انتشرت اللغة العربية بين الكثيرين من سكان البلاد, حيث كانوا يجيدون الحديث بها إلى جانب لغتهم الخاصة، وهو شيء يصاحب انتشار الإسلام كونها لغة القران الكريم[8].

أن العلاقات بين الدولة الرستمية وجنوب الصحراء كانت علاقات تجارية وثقافية ذات طابع سياسي, قائمة على المصالح المشتركة بين الجانبين، ويبدو أنها استمرت حتى بعد سقوط الدولة الرستمية على يد الفاطميين سنة 296هـ–909م, حيث فر العديد من الرستميين وأنصارهم من سكان تيهرت إلى عدة مدن مثل وراجلان وتادمكة وغانة وبلاد النكرور وكانم وأودغست وغيرها من بلاد السودان، حيث أسسوا لهم أحياءا كاملة، وأحيانا مدن وقرى نشروا فيها ثقافتهم, ويذكر البكري[9] إن مدينة أودغست كانت تسكنها بطونا من قبائل هاجرت من المغرب الأوسط والأذى منها نفوسة ولواتة وزناتة ونزاو.

---

[1] مدينة مهمة اتجه اليها تجار المشرق, المسافة بينها وبين مدينة كوار تقدر بخمسة عشر يوما, ينظر: اليعقوبي, احمد بن يعقوب بن جعفر, البلدان, ط3, المطبعة الحيدرية, النجف, 1957م, ص98.

[2] البكري, المغرب, ص10.

[3] يباع الحمل بعشرة مثاقيل الى ثمانية, ويباع بمدينة مالي بثلاثين مثقالا الى عشرين, وربما انتهى الى اربعين, ينظر: ابن بطوطة, شمس الدين بن عبد الله, رحلة ابن بطوطة, بيروت, 1964م, ص674.

[4] الباروني, سليمان بن عبد الله النفوسي, الازهار الرياضية في ائمة وملوك الاباضية, تونس, د.ت, ج2, ص185.

[5] احدى الممالك الخمسة التي تكونت منها مملكة مالي, ينظر: الحموي, معجم البلدان, ج4, ص495؛ مؤلف مجهول, كتاب الاستبصار في عجائب الامصار, تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد, دار الشؤون الثقافية, دون مكان, د.ت, ص225.

[6] ابن الصغير, سيرة الائمة, ص31.

[7] المنجد, مملكة مالي, ص43–44.

[8] المنجد, مملكة مالي, ص62.

[9] البكري, المغرب, ص150–159.

ومما يؤكد استمرار العلاقات بين الطرفين إن الثائر أبو يزيد مخلد بن كيداد[1] قائد الحركة ضد الدولة الفاطمية سنة 332 هـ –944م، كان قد ولد في مدينة تادمكة, ورافق والده في رحلاته من اجل التجارة الى مدينة جوا على نهر النيجر, واخيرا رجع الى بلدته قسطيلية[2] (توزر) في جنوب تونس, وبعد فشل هذه الحركة فر العديد من انصاره الى السودان هربا من اضطهاد الفاطميين حيث عاشوا هناك[3].\

" علاقة الرستميين بالامويين في الاندلس[4] 138–196 "

سارت العلاقات بين الرستميين وامراء بني امية في قرطبة[5] بطريق الصدفة والتحالف والمودة, اذ كان كل من الامويين والرستميين اعداءاً للخلافة العباسية, ولذا حتمت عليهم الظروف توحيد الجهود امام عددهم المشترك, فلم يكن امام الامويين سوى المغرب الاوسط حيث الدولة الرستمية, ففي المغرب الادنى قامت دولة الاغالبة الموالية للعباسيين, وفي المغرب الاقصى قامت دولة الادارسة المختلفة مذهبيا عن الامويين, وعلى هذا الاساس قامت العلاقات بين الدولة الاموية والرستمية على التحالف المتين والصداقة المتبادلة بين الطرفين حيث كانت الدولة الرستمية تمثل عصب الحياة للامويين[6].

وقد شهدت العلاقات الاموية الرستمية تعاونا سياسيا واقتصاديا وعسكريا وحضاريا, فعلى مستوى التعاون السياسي بين الدولتين, فقد ارتبطت كل منهما بالاخرى ارتباطا وثيقا, تمثل باستقبال شخصيات اندلسية استوطنت تيهرت ولعبت دورا في تمشية الامور الادارية فيها ومن هؤلاء عمران بن مروان الاندلسي ومسعود الاندلسي وهما اللذان رشحا ضمن مجموعة لتولي الامامة بعد عبد الرحمن بن رستم وكانا من فقهاء وخطباء الاباضية في تيهرت وعلى هذا الاساس كان ترشيحهما[7], وفي نفس الوقت شهد بلاط الدولة الاموية في الاندلس وصول عدد من رجال السياسة من الرستميين الذين كان لهم دور سياسي كبير في دولتهم, وقد استفادت الدولة الاموية من خبرات هؤلاء الرجال حيث تسلموا مناصب عليا اثبتوا من خلال ادارتها كفاءتهم العالية ومن هؤلاء نذكر مثلا عيسى بن شهيد ويوسف بن بخيت اللذان عملا وزراء في الدولة الاموية في الاندلس[8].

---

[1] ابو يزيد مخلد بن كيداد الزناتي اليفرني النكاري, صاحب الثورة على الفاطميين سنة 332هـ, ولد بالسودان حيث كان ابوه تاجرا, وتعلم القران بتوزر, ولما ظهر الفاطميين على الساحة السياسية استطاع ابو يزيد من تهديد حركتهم بالزوال, وقد قتل سنة 333هـ. ينظر: ابن الاثير, الكامل, ج7, ص185–195؛ ابن خلدون, العبر, ج7, ص13.

[2] كورة او مدينة في افريقيا, ينظر: الحموي, معجم البلدان, ج4, ص183.

[3] ابن خلدون, العبر, ج7, ص13؛ عبد الحميد, تاريخ المغرب العربي, ج3, ص171.

[4] اسس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام المعروف بالداخل هذه الدولة في الاندلس, بعد هروبه من قبضة العباسيين بعد سقوط الدولة الاموية, فهرب الى مصر ثم الى افريقية حيث تنقل بين قبائل البربر. ثم استقر على سواحل البحر, ومن هناك بدأ بدراسة الوضع في الاندلس. ثم باشر بالكتابة الى موالي بني امية في الاندلس, وقد لاقت دعوته استجابة كبيرة بعد ان انظم اليه الكثيرون, واخيرا استطاع من العبور الى الاندلس نحو قرطبة, ثم هزيمة حبيب الفهري في غرناطة, وقد استطاع عبد الرحمن الداخل تدعيم دولته وتامين حدودها, فسلمها الى خلفائه دولة قوية مرهوبة الجانب من قبل جيرانه, ولذا استحق ان يلقبه المنصور بصقر قريش, ينظر: ابن الاثير, الكامل, ج5, ص121–126؛ ابن خلدون, العبر, ج4, ص120–121؛ حسن, حسن ابراهيم, تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي, مكتبة النهضة المصرية في الاندلس, مكتبة الخانجي, القاهرة, د.ت, ص163–165.

[5] مدينة عظيمة بالاندلس, ينظر: الحموي, معجم البلدان, ج4, ص324.

[6] السالم, تاريخ المغرب الكبير, دار النهضة العربية, بيروت, د.ت, ص569.

[7] الدرجيني, طبقات, ج1, ص46؛ الشماخي, السير, ص145.

[8] ابن القوطية, ابو بكر محمد القرطبي, تاريخ افتتاح الاندلس. تحقيق: عبد الله انيس الطباع, بيروت, 1957, ص83.

وفي هذا الجو من الثقة والصداقة بين الطرفين بعث الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن (206–208هـ) ابناءه الثلاثة في سفارة رستمية الى قرطبة عاصمة الدولة الاموية في سنة 207هـ, وقد استقبلهم عبد الرحمن بن الحكم (206–238هـ) استقبالا كبيرا جدا صار حديثا للناس لكثرة ما انفق به من اموال[1].

وكانت الدولة الرستمية مخلصة في علاقاتها مع الدولة الاموية, فبالرغم من انها منحت بعض مواطني الدولة التي ترتبط معها سياسيا ومذهبيا حق اللجوء السياسي والحماية بكل الوانها، الا انها استثنت من هذا الحق الخارجين على صديقتها الدولة الاموية, ولم تسمح لهم بمزاولة كل نشاط من شانه ان يهدد حليفتهم في الاندلس، وفي نفس الوقت منحت حق الاستيطان والإقامة لكل أندلسي وفد اليها للتجارة والعمل دون الإضرار بالعلاقات الطيبة بين الطرفين[2] ويروي ابن القوطية[3] قصة طريفة تروى عن عمر بن حفصون[4] الذي قام بثورة ضد امير قرطبة عبد الرحمن الثالث (300–350هـ), وفر الى تيهرت, واختفى بها استعدادا للعمل ضد الامويين, وعمل للتمويه عند احد الخياطيين القادمين الى تيهرت من مدينة رية[5] بالاندلس, وبينما عمر بن حفصون يجلس عند الخياط, جاء شيخ ومعه ثوب " فقام اليه الخياط ووضع له كرسي فقعد عليه فسمع الشيخ كلام ابن حفصون فانكره عند الخياط، فقال له: من هذا؟ فقال له الخياط: غلام من جيراني برية, واتى لخيط عندي, فالتفت الشيخ اليه وقال له متى عهدك برية؟ فقال ابن حفصون منذ اربعين يوما. فقال: تعرف جبل ببشتر؟ قال له: انا ساكن عند اصله, قال له الشيخ: فيه حركة, قال: لا, ثم قال له الشيخ: هل تعرف ما يجاوره رجل يقال له عمر بن حفصون, فذعر من قوله, واخذ الشيخ ينظر اليه, وكان ابن حفصون افض الثنية, فقال له: يا منحوس تحارب الفقر بالابرة, ارجع الى بلدك, فانت صاحب بني امية وسيلقون منك غيا وستملك ملك عظيما, وقام من فوره وذلك خوفا ان ينبش الامر وان يقبض عليه بنو ابي اليقظان وكانوا مالكي تيهرت وولاؤهم لبني امية, فاخذ خبزتين من الخباز, وخرج فاتى الاندلس"، ويستنتج من هذه الرواية ان تيهرت كانت تظم جالية اندلسية كبيرة عملت في المجال الاقتصادي دون العمل السياسي, وذلك حفاظا على العلاقات الطيبة بين البلدين.

أما عن العلاقات الاقتصادية بين البلدين, فكانت متينة جدا, وتمثل ذلك بالتسهيلات التي منحها الرستميون للتجار الأندلسيين, فقد فتحت أمام هؤلاء التجار الطرق إلى كل بلدان العالم, وأنقذهم ذلك من الحصار الاقتصادي الذي فرضته كل من الاغالبة والادارسة عليهم. وقد قويت هذه العلاقات الاقتصادية لحاجة الأمويين إلى الأسواق الخارجية لتصريف منتجاتهم التي زادت عن حاجتهم نتيجة تطورهم في ميداني الزراعة والصناعة، وفي نفس الوقت كانوا بحاجة إلى الحصول على بعض المواد الخام من البلاد الإسلامية، وقد سهل الرستميون لهم جميع السبل وفتحوا لهم موانئهم في تنس[6] ووهران[7] لاستقبال البضائع الأندلسية ولاسيما المنسوجات الحريرية, ولم يكتفوا بذلك بل قام الرستميون بدور الوسيط في نقل المنتجات وتصريفها الى البلدان المجاورة كالسودان ومصر والمشرق الإسلامي, حيث أصبح الاقتصاد الرستمي سندا للأمويين في

[1] الحريري, مقدمات, ص219–220.

[2] السالم، تاريخ المغرب الكبير, ص571.

[3] ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس، ص 109–110.

[4] عمر بن حفصون: قام بثورة ضد امير قرطبة عبد الرحمن الثالث متخذا من حصن ببشتر قاعدة له، وكانت ثورته ضد الظلم الاجتماعي, وذات نزعة شعوبية ضد العرب, ينظر: ابن الابار, درر السمط في خبر السبط, تحقيق: عز الدين موسى, دار الغرب الاسلامي, بيروت, 1987م, ص32.

[5] كورة واسعة بالاندلس متصلة بالجزيرة الخضراء, وهي قبالة قرطبة وكثيرة الخيرات, ينظر: الحموي, معجم البلدان, ج3, ص116.

[6] هي اخر افريقية مما يلي المغرب, وهي مدينة مشهورة وحصينة, ينظر: الحموي, معجم البلدان, ج2, ص48.

[7] مدينة تقع على البر الاعظم من المغرب, ينظر: الحموي, معجم البلدان, ج5, ص385.

عمليات التصدير والاستيراد, وقد انعكست أصداء هذا التعاون بين الدولتين على نشاط الأساطيل التجارية الأندلسية، وازدهار المدن والموانئ الرستمية والأموية وخاصة في تيهرت وقرطبة[1].

وكان طريق اتصال تيهرت بالأندلس يتم بركوب البحر, وقد مر بنا إن تيهرت تنفذ عن طريق ميناء تنس, وهو ميناء مهم, فمدينة تنس اقرب المدن على الساحل الاندلسي[2]. كما يوجد ميناء يعرف بمرسى فروخ[3], الذي يعتبره البكري[4] مرسى سنوي, في حين يوجد مرسى ثالث يعرف بمرسى مدينة وهران, وذكر البكري[5] ان الاندلسيين بنو مدينته, ويبدو ان هذا المرسى كان مهم وبارز لديهم لدرجة ان يبنوا مدينته, وهو دليل واضح على مدى النشاط الاقتصادي الكبير الذي عرفت به الدولتين الرستمية والاموية في الاندلس على حد سواء, ولاشك ان الرستميين كانوا يستوردون من الاندلس دون غيرها من البلاد بحكم العلاقات الحسنة, كل ما يحتاجون اليه لوفرته, خاصة المواد الزراعية والصناعية, ومنها قصب السكر, الذي كان يزرع بكميات كبيرة وكذلك الكتان والقطن الجيد, وربما حتى الزيوت التي تفيض عن حاجة الاندلس, فضلا عن المصنوعات الاخرى, ويبدو ان هذه القائمة الطويلة من البضائع الاندلسية المستوردة تقابلها قائمة من البضائع الرستمية المصدرة, ومنها الحبوب والماشية وهما اهم مادتين تنتجها البلاد, اضافة الى الذهب والعبيد وهما بضاعتين لعبت الدولة الرستمية دورا فعالا بتجارتهما, وقد استطاعت تيهرت ان تستورد باستخدام الذهب كل ما هي بحاجة اليه من منتجات الشرق والغرب, لذلك اشتهرت بصفتها التجارية, ورواج اسواقها في الافاق[6].

اما العلاقات على الصعيد العسكري, فقد استعانت الدولة الاموية في الاندلس بعدد من القادة ذوي الخبرة من الدولة الرستمية في اعمالها الحربية. منطلقين من مبدأ التعاون المشترك بينهما في كل المجالات, فقد استعان الامير عبد الرحمن بن الحكم (206–238هـ) بالقائد الرستمي محمد بن رستم للقضاء على الحركة التي قام بها هاشم الضراب[7] في طليطلة[8] سنة 214هـ[9], كما استعان به ايضا في صد الغارات التي قام بها النورمان على شواطئ الاندلس, وتمكن هذا القائد الرستمي من القضاء على هذا الخطر النورماني, الذي كان يهدد المسلمين في بلاد الاندلس[10].

وعلى العموم كانت المصادر العربية تطلق على النورمان اسم المجوس, وذلك لانهم كانوا يشعلون النيران كثيرا. فضن العرب انهم يعبدونها[11], وفي نفس السياق العسكري, فقد كان كل طرف يطلع الطرف الاخر بالانجازات التي حققها في هذا المجال, وخلال ذلك تتم عملية تبادل الهدايا بينهما تعبيرا عن الفرحة والبهجة ومشاركة الطرف الاخر في تلك الانتصارات, وفي هذا الصدد نذكر ان الاغالبة حين شرعوا ببناء مدينة العباسية سنة 227هـ بالقرب من تيهرت مما يهدد عاصمة الرستميين سياسيا واقتصاديا, قام الامام افلح بن عبد الوهاب (208–258هـ) بهدمها واحراقها كما ذكرنا سابقا, وقد

---

[1] ارشيبالد, القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط, ترجمة: احمد محمد عيسى, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة, د.ت, ص260؛ الحريري, مقدمات, ص224.

[2] اليعقوبي, البلدان, ص105.

[3] اليعقوبي, البلدان, ص10.

[4] المغرب, ص81.

[5] المغرب, ص70.

[6] الكعاك, عثمان, البربر, دون مكان, 1956م, ص178.

[7] كان احد الرهائن الذين اخذهم الامير الحكم بن هشام (180–206هـ) معه من طليطلة الى قرطبة, فعمل بحارة الحداد فيضرب بالمعول فعرف بالضراب, ينظر: السالم, تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس, دار المعارف, بيروت, 1962م, ص230.

[8] مدينة كبيرة بالاندلس, كانت قاعدة ملوك القرطبيين, وموضع قرارهم, ينظر: الحموي, معجم البلدان, ج4, ص39.

[9] ابن عذاري, البيان المغرب, ص87–88.

[10] ابن القوطية, تاريخ افتتاح الاندلس, ص83.

[11] ابن الابار, الحلة السيراء, ص273؛ الدوري, تقي الدين عارف, تاريخ العرب المسلمين وحضارتهم في الاندلس, ليبيا, 1997م, ص178.

ارسل الامام افلح بن عبد الوهاب باخبار هذه العملية الى الامير عبد الرحمن الثاني (206–238هـ) الذي بادر على الفور بارسال هدية قيمة جدا تعبيرا عن فرحته بهذا الانجاز[1], وهكذا اصبح تبليغ انباء الانتصارات بين الدولتين تقليدا سياسيا متعارفا بينهما, ولهذا تم ابلاغ الامام افلح بن عبد الوهاب بانتصار عبد الرحمن الثاني على النورمان[2].

اما عن العلاقات الثقافية والحضارية بينهما فكانت مميزة, فكما نوهنا سابقا ان الدولة الرستمية اصبحت الجسر الذي يضمن استمرار التدفق الاموي في الاندلس الى المشرق, ومنه الثقافي الذي حرص امراء بني امية على استغلال هذا الجسر من التواصل الحضاري مع المشرق, فعن طريق الرستميين نجح أمراء بني أمية في الحصول على كل ما يحتاجونه من كنوز ومؤلفات الشرق, وحتى علمائه, ومما ساعدهم ذلك امتلاك الرستميين لمكتبات ضخمة عرفت بالمعصومة, والتي ضمت امهات الكتب فضلا عن جهود علماء الدولة نفسها[3]. وكان لهذا الدور اثره الكبير في ظهور مؤثرات الأباضية في بلاد الأندلس, ولا غرابة في هذا؛ لان وجود من هكذا علاقات متينة وقوية, لابد إن تترك أثارها على الشعب الأندلسي, وخاصة مناطق الاحتكاك التجاري بين الرستميين والأمويين.

كما شملت العلاقات الثقافية والحضارية رحيل الكثير من علماء الدولة الرستمية إلى الأندلس, ومن هؤلاء نذكر قاسم بن عبد الرحمن التيهرتي وابنه أبو الفضل احمد المعروف بالبزاز، اللذان دخلا الأندلس سنة 317هـ, وكان البزاز صغير السن، وقد تعلم بمدينة قرطبة، ومنهم أيضا عبد الرحمن بن بكر التيهرتي الذي حدث عن أبيه بقرطبة، وكذلك إبراهيم بن عبد الرحمن النسي الذي كان مفتيا بجامع الزهراء[4].

" **علاقة الدولة الرستمية مع مصر** "

ارتبطت الدولة الرستمية بعلاقة طيبة مع مصر، وذلك بحكم موقع مصر، حيث تمثل الجار الشرقي للدولة الرستمية والمنفذ الوحيد إلى شرق العالم الإسلامي، ويبدو إن العلاقات السياسية كانت ضعيفة بينهما بحكم الاختلاف السياسي، فقد كانت مصر ولاية عباسية تتبع نهج حكومة بغداد، إلا إن العلاقات الاقتصادية والثقافية كانت متينة.

وعلى صعيد العلاقات الاقتصادية كانت مصر تمثل المنفذ البري الوحيد لبضائع الرستميين إلى المشرق كما ذكرنا، حيث كانت قوافل التجار والحجاج والعلماء تخترقها إلى الشرق وبالعكس، وهو الطريق الذي ينتهي بالإسكندرية ويتصل بالطريق الممتد إلى المغرب الأقصى بعد مروره بمراكز التجارة المهمة مثل برقة، ثم إلى أفريقية (تونس) ومنها إلى الأندلس بعد عبور المضيق[5].

وقد تولت قبيلة هوارة في شرق طرابلس وكذلك نفوسة، والقبائل الطرابلسية الأخرى هذه المهمة فكانت تجوب الصحراء بين المدن الرستمية, في المغرب الادنى والأوسط وبين مصر، وقوافلها مثقلة بالسلع الرستمية والمصرية[6]، ويبدو ان لهذا الاختلاط اثره الواضح على البلدين فالتجار وغيرهم من الرستميين قد نقلوا كثيرا من افكارهم الى مصر، وبالمقابل تاثر هؤلاء الرستميين بما وجدوه في مصر من مظاهر الحياة فنقلوه الى بلادهم.

وكانت العلاقات الثقافية بين الدولة الرستمية ومصر واسعة، وذلك لقربها من جهة، ولكونها تقع على طريق القوافل المؤدية الى الشرق من جهة اخرى، فضلا عن ذلك اعتناق عدد من المصريين للمذهب الاباضي، حتى اصبح لهؤلاء

---

[1] البلاذري, فتوح البلدان, ج1, ص74؛ العدوي, بلاد الجزائر, ص322–323؛ الحريري, مقدمات, ص220.

[2] الدوري, تاريخ العرب, ص170؛ الحريري, مقدمات, ص220.

[3] العدوي, بلاد الجزائر, ص223–224.

[4] الحميدي, ابو عبد الله محمد بن فتوح, جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس, الدار المصرية للتاليف والترجمة, القاهرة, 1966م, ص332؛ الحريري, مقدمات, ص225.

[5] ابن خرداذبة, ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله, المسالك والممالك, ليدن, 1889م, ص154–155.

[6] دبوز, تاريخ المغرب الكبير, ج3, ص351.

المصريين وزنهم عند رجال الدولة الرستمية، ومن هؤلاء شعيب بن معروف المصري[1] الذي قدم الى تيهرت ايام الفتنة التي حدثت بين الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رتسم وبين يزيد بن فندين[2]، وكان له دور مع ابن فندين وثورته ضد الامام عبد الوهاب[3]، ومع هذا لم ينجح في مسعاه في تهدئة الامور، فعاد الى مصر، ولكن بعد ان تمكن الامام عبد الوهاب من القضاء على فتنة ابن فندين، استعان بخدمات ابن عباد المصري في الافتاء وذلك لما قرر الخروج الى الحج وكان ابن عباد من علماء الاباضية في مصر[4].

ولكن العلاقات السياسية بين الدولتين اخذت بالتوتر في عهد الدولة الطولونية (254-292هـ)[5]. وذلك بسبب تصرفات العباس بن احمد بن طولون الذي خرج بحملة نحو برقة من بلاد المغرب, مستغلا خروج ابيه[6] نحو الشام[7], ويرى البعض ان حكومة بغداد كان لها يد في تدبير رفقاء السوء الذين التفوا حول العباس بن احمد بن طولون ودفعوه الى القيام بهذا العمل، وقد عمل الموقف بهذه الطريقة لخلق حالة من الاضطراب والشغب في حكومة احمد بن طولون[8]، وذلك انتقاما من الاخير الذي رحب لمشروع الخليفة العباسي المعتمد (256-279هـ) في نقل الخلافة الى مصر ؛ لان ذلك سيعود عليه بالنفع سواء من الناحية السياسية او الادبية او الاقتصادية[9].

اما عن ردة فعل احمد بن طولون امام هذه التطورات الخطيرة التي حدثت بغيابه في مصر، فانه عاد على الفور الى الفسطاط, حرصا منه على اصلاح ما يمكن اصلاحه، في محاولة منه لترميم الخدش الذي احدثه ابنه العباس مع جيرانه، فبادر في ارسال وفد الى العباس في محاولة لاقناعه بالعودة لكن الوفد اخفق في اعادة العباس الى مصر[10].

اما عن موقف الدولة الرستمية والاغالبة فكان موحدا في مواجهة العباس، الامر الذي ادى الى ضعف شوكته بعد الهزائم الذي تلقاها من قبل الرستميين والاغالبة، ولحفظ ماء الوجه ارسل احمد بن طولون جيشا لإعادة العباس، وبالفعل تمكن هذا الجيش عن القاء القبض عليه واعادته الى مصر[11].

ومن تقدم يظهر ان احمد بن طولون لم يكن راضيا على ابنه العباس وما فعله تجاه المغرب لانه لايريد ان يفتح عليه باب المغرب، خاصة وان علاقته مع الخلافة العباسية ليست على ما يرام كما قلنا سابقا، وفي هذا المعنى اشار ابن سعيد المغربي[12] الى الحالة النفسية التي كان يشعر بها ابن طولون نتيجة تردي العلاقات بينة من جهة وبين الرستميين والاغالبة من جهة اخرى بقوله " وكان الناس يرون غمه مما جنى عليه العباس... حتى اوقع اثارا غليظا بينه وبين ابراهيم بن الاغلب والياس بن منصور النفوسي (عامل الرستميين على جبل ننوسة) ".

" **الخاتمة** "

---

[1] الحريري, مقدمات, ص197.

[2] قد سبقت ترجمته.

[3] الدرجيني, طبقات, ج1, ص50؛ الشماخي, السير, ص147.

[4] الدرجيني, طبقات, ج1, ص66؛ الشماخي, السير, ص159.

[5] ابن خلدون, العبر, ج4, ص297؛ العبادي, في التاريخ العباسي والفاطمي, ص 128-129.

[6] ابوه: هو احمد بن طولون, ابو العباس صاحب الديار المصرية والشامية, تركي مستعرب, كان شجاعا حسن السيرة, توفي سنة 170هـ. ينظر: الزركلي, الاعلام, ج1, ص140.

[7] الطبري, تاريخ, ج8, ص479؛ ابن الاثير, الكامل, ج6, ص275.

[8] الحريري, مقدمات, ص198.

[9] العبادي, في التاريخ العباسي والفاطمي, ص133.

[10] ابن سعيد المغربي, المغرب في حلى المغرب, تحقيق: زكي محمد واخرون, كلية الاداب, جامعة فواد الاول, بلا مكان, 1953م, ج1, ص118-119؛ الحريري, مقدمات, ص199.

[11] الطبري, تاريخ, ج8, ص479؛ ابن سعيد المغربي, المغرب, ج1, ص122.

[12] المغرب, ج1, ص122.

وكانت حصيلة بحثنا الموسوم بـ (الدولة الرستمية علاقاتها الخارجية 160-296هـ)، الوصول إلى النتائج الآتية:

1- إن قيام الدولة الرستمية في بلاد المغرب الأوسط (الجزائر) كان نتيجة أمرين، الأول هو حالات الاضطراب السياسي الذي كان يعم هذه البلاد في تلك الفترة، والثاني يتمثل في جهود الخوارج الأباضية الذين قاموا ببناء هذه الدولة على المذهب الاباضي.

2- يعتبر الإمام عبد الرحمن بن رستم مؤسس هذه الدولة وقد تمكن إلى ذلك بعد أن فر من القيروان إلى تيهرت حيث وجد المناخات ملائمة لتكوين دولته.

3- كانت هذه الدولة مستقلة عن الخلافة العباسية في المشرق، وقد اتسمت العلاقات بينهما بطابع العداء، فالخلافة العباسية تنظر إلى الرستميين باعتبارهم مغتصبين لجزء من أراضي الخلافة، هذا فضلا عن الاختلاف المذهبي، فالدولة العباسية سنية، أما الدولة الرستمية فهي على المذهب الاباضي الخارجي، إلا إن هذا لا يمنع أن نسمع أحيانا بعلاقات غير متوترة بين الطرفين نتيجة الاتفاق بين ولاة بني العباس على افريقية والأئمة الرستميين.

4- أما عن العلاقات التجارية بين الخلافة العباسية والدولة الرستمية فقد كانت مزدهرة فالقوافل التجارية كانت تأتي من مدن الخلافة العباسية لتصل إلى تيهرت، كما شجع الأئمة الرستميون أنفسهم التجارة وعمل البعض منهم بها.

5- وقد أملت الضروف السياسية طبيعة العلاقات بين الرستميين ودولة الاغالبة, فالاغالبة هم مثلي الخلافة العباسية في افريقية, أما الرستميين فهم أعداء الخلافة العباسية أو الخارجين عليها، ولذا نجد أحيانا ان العلاقات متوازنة بين الطرفين فيتوحدون في المواقف مما يصب في مصلحتها وهذا ما لاحظناه عند تصديها لابن طولون، وأحيانا نجد إن العلاقات قد تشنجت وهو ما لاحظناه عندما بنى الاغالبة مدينة العباسية قرب تيهرت فهاجمها الرستميون ودمروها حفاظا على مكانة عاصمتهم.

6- وضع الرستميون سياستهم مع الادارسة على أساس حسن الجوار، فقد كان يجمعها لتوحيد موقفيهما وجود عدو مشترك وهو الخلافة العباسية، حيث اقتطع كل منهما جزء من ارض الخلافة، وقد استفاد الادارسة من وجود الرستميين في شرق بلادهم واعتبروهم حاجزا يحول بينهم وبين وصول قوات العباسيين إليهم ولذا حرص الادارسة على دوام هذه العلاقة الطيبة.

7- وكان لدولة بني مدرار في سجلماسة التي اقيمت على المذهب الصفري علاقات وطيدة مع الرستميين، فالطرفين ينتمون الى المذهب الخارجي، ولذا كانت العلاقات السياسية عميقة جدا بينهما وصلت الى حد المصاهرة بين العائلتين الحاكمتين في كل من تيهرت وسجلماسة.

8- أما العلاقات مع بلاد السودان فكانت ذات طابع اقتصادي، حيث تسيطر الدولة الرستمية على معظم المنافذ المؤدية إلى بلد السودان، وكان الفقهاء المسلمين غالبا ما يرافقون القوافل التجارية إلى بلاد السودان مما أدى الى انتشار الاسلام في هذه البلاد.

9- وقد شهدت علاقات الرستميين بالامويين في الاندلس تعاونا سياسيا واقتصاديا وعسكريا وحضاريا, وكان للسبب السياسي اثره الواضح في هذا التقارب والتفاهم فكلاهما عدو للخلافة في بغداد, فيجب عليهما هنا توحيد موقفيهما امام عدوهما المشترك.

10- وكانت مصر تمثل المنفذ الوحيد للدولة الرستمية الى شرق العالم الاسلامي, ولذا فقد ارتبط الطرفان بعلاقات اقتصادية مزدهرة, اما العلاقات السياسية فلم تكن بالمستوى المطلوب بسبب الاختلاف السياسي, فمصر ولاية عباسية تابعة لحكومة بغداد.

قائمة المصادر والمراجع

ابن الاثير, علي بن ابي الكرم الشيباني (ت: 630هـ/ 1232م).

- الكامل في التاريخ, تحقيق: خيري سعيد, الدار التوفيقية للطباعة, القاهرة, د.ت.

ابن الابار, محمد بن عبد الله القضاعي (ت: 658هـ/ 1259م).
- الحلة السيراء, تحقيق: حسين مؤنس, الشركة العربية للطباعة والنشر, دون مكان, 1963م.
- درر السمط في خبر السبط, تحقيق: عز الدين موسى, دار الغرب الاسلامي, بيروت, 1987م.
الادريسي, ابو عبد الله محمد بن ادريس (ت: 560هـ/ 1164م).
- نزهة المشتاق في اختراق الافاق, مطبعة عالم الكتب, بيروت, 1989م.
ارشيبالد.
- القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط, ترجمة: احمد محمد عيسى, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة, د.ت.
الباروني, سليمان بن عبد الله النفوسي.
- الازهار الرياضية في ائمة وملوك الاباضية, تونس, د.ت.
ابن بطوطة, شمس الدين بن عبد الله (ت: 703هـ/ 1303م).
- رحلة ابن بطوطة, بيروت, 1964م.
البكري, عبد الله بن عبد العزيز (ت: 487هـ/ 1094م).
- المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب, مكتبة المعنى, بغداد, د.ت.
البلاذري, احمد بن يحيى بن جابر (ت: 279هـ/ 892م).
- فتوح البلدان, تحقيق: صلاح الدين المنجد, مطبعة لجنة البيان العربي, القاهرة, 1956م.
حسن, حسن ابراهيم.
- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي, مكتبة النهضة المصرية في الاندلس, مكتبة الخانجي, القاهرة, د.ت.
الحريري, محمد.
- مقدمات البناء السياسي في المغرب العربي, مكتبة الشباب, القاهرة, 1979م.
الحموي, شهاب الدين بن عبد الله الرومي (ت: 626هـ/ 1228م).
- معجم البلدان, دار إحياء التراث العربي, بيروت, 1979م.
الحميدي, ابو عبد الله محمد بن فتوح (ت: 488هـ/ 1095م).
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس, الدار المصرية للتأليف والترجمة, القاهرة, 1966م.
الحميري, محمد بن عبد المنعم (ت:727م/ 1826م).
- الروض المعطار في خبر الاقطار, تحقيق: احسان عباس, ط2, بيروت, 1974م.
ابن خرداذبة, ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت: 300هـ/ 912م).
- المسالك والممالك, ليدن,1889م.
ابن الخطيب, محمد لسان الدين (ت: 776هـ/ 1384م).
- تاريخ المغرب العربي, العصر الوسيط, تحقيق: احمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني, الدار البيضاء, 1964م.
ابن خلدون, عبد الرحمن بن محمد (ت: 808هـ/ 1405م).
- العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر, دار الكتاب البناني, بيروت, د.ت.
الدباغ, عبد الرحمن بن محمد الانصاري (ت:696هـ/ 1296م).
- معالم الايمان في معرفة اهل القيروان, ط2, تحقيق: محمد الاحمدي ابو النور واخرون, مصر, 1968م.

دبوز, محمد علي.
- تاريخ المغرب الكبير, دار إحياء الكتب العربية, دون مكان, 1963م.
الدرجيني, ابو العباس احمد بن سعيد (ت: 670هـ/ 1271م).
- طبقات المشايخ بالمغرب, تحقيق: ابراهيم طلاي, الجزائر, 1974م.
الدوري, تقي الدين عارف.
- تاريخ العرب المسلمين وحضارتهم في الاندلس, ليبيا, 1997م.
الذهبي, شمس الدين محمد بن عثمان (ت:748هـ/ 1347م).
- تاريخ الاسلام, تحقيق: عمر عبد السلام تدمري, دار الكتاب العربي, بيروت, 1987م.
- سير اعلام النبلاء, تحقيق: صالح السمر, ط4, مؤسسة الرسالة, بيروت, 1986م.
زبادية, عبد القادر.
- مملكة سنغاي في عهد الاسيقيين, الجزائر, 1971م.
ابن ابي زرع, علي بن محمد بن احمد (ت:726هـ/ 1325م).
- الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس, تحقيق: محمد الهاشمي, المطبعة الوطنية, المغرب, 1936م.
الزركلي, خير الدين.
- الاعلام, ط5, دار العلم للملايين, بيروت, 1980م.
السالم, السيد عبد العزيز.
- تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس, دار المعارف, بيروت, 1962م.
- تاريخ المغرب الكبير, دار النهضة العربية, بيروت, د.ت.
- تاريخ المغرب في العصر الاسلامي, دار النهضة العربية, بيروت, د.ت.
ابن سعيد المغربي, ابو الحسن علي بن موسى الاندلسي (ت:685هـ/ 1286م).
- المغرب في حلى المغرب, تحقيق: زكي محمد واخرون, كلية الاداب, جامعة فواد الاول, دون مكان, 1953م.
- كتاب الجغرافيا, تحقيق: اسماعيل العربي, بيروت, 1970م.
شرف الدين, لمياء محمد سالم.
- بعض ملامح ازمة افريقيا الاقتصادية, ليبيا, 1999م.
الشماخي, ابو العباس احمد بن سعيد (ت:928هـ/ 1525م).
- السير, الجزائر, د.ت.
الشهرستاني, محمد بن عبد الكريم (ت:548هـ/ 1153م).
- الملل والنحل, ط2, مكتبة الانجلو المصرية, القاهرة, 1955م.
ابن الصغير (حي في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري).
- سيرة الامة الرستميين في تيهرت, تحقيق: هوتلنسكي, باريس, 1907م.
الصفدي, صلاح الدين خليل بن ايبك (ت:764هـ/ 1362م).
- الوافي بالوفيات, تحقيق: احمد الانؤوط, دار احياء التراث العربي, بيروت, د.ت.
الطبري, محمد بن جرير (ت:310هـ/ 922م).
- تاريخ الامم والملوك,تحقيق: عبد علي مهنا, مؤسسة الاعلمي, بيروت, 1998م.
العبادي, احمد مختار.

- في التاريخ العباسي والفاطمي, بيروت,1971م.

عبد الحميد, سعد زغلول.

- تاريخ المغرب العربي, الاسكندرية, 1993م.

عبد الرزاق, محمد اسماعيل.

- الاغالبة وسياستهم الخارجية, مكتبة سعيد رافد, دون مكان, د.ت.

العدوي, ابراهيم احمد.

- بلاد الجزائر وتكوينها الاسلامي والعربي, مكتبة النحو المصرية, القاهرة، 1970م.

ابن عذاري المراكشي, ابو عبد الله محمد (ت:695هـ/ 1266م).

- البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب, تحقيق: ليفي بروفنسال, دار الثقافة, بيروت, د.ت.

ابن عساكر, علي بن الحسين بن هبة الله (ت:571هـ/ 1175م).

- تاريخ مدينة دمشق, تحقيق: علي شيري, مطبعة دار الفكر, بيروت.

عنان, محمد عبد الله.

- دولة الاسلام في الاندلس, مكتبة الخانجي, القاهرة, د.ت.

ابن القوطية, ابو بكر محمد القرطبي (ت:367هـ/ 977م).

- تاريخ افتتاح الاندلس. تحقيق: عبد الله انيس الطباع, بيروت, 1957.

الكعاك, عثمان.

- البربر, بلا مطبعة, دون مكان, 1965م.

محمد, فهد بدري.

- الصلات الثقافية بين العرب وافريقيا, منشورات كلية الاداب, جامعة بغداد, 1988م.

المنجد, صلاح الدين.

- مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين, دار الكتاب الجديد, بيروت, 1963م.

مؤلف مجهول.

- كتاب الاستبصار في عجائب الامصار, تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد, دار الشؤون الثقافية, دون مكان, د.ت.

المراكشي, محي الدين عبد الواحد بن علي (ت:648هـ/ 1250م).

- المعجب في اخبار المغرب, تحقيق: محمد سعيد العريان, القاهرة, 1963م.

المسعودي, على بن الحسين (ت:346هـ/ 957م).

- مروج الذهب ومعادن الجوهر, مطبعة شريعت, قم, 2002م.

المعاضيدي, خاشع واخرون.

- تاريخ الدويلات العربية الاسلامية في المشرق والمغرب, مطبعة جامعة بغداد, بغداد, 1979م.

اليعقوبي, احمد بن يعقوب بن جعفر (ت:292هـ/ 904م).

- البلدان, ط3, المطبعة الحيدرية, النجف, 1957م.